

تفسير البغوي

79 - قوله تعالى : { وَمِنَ اللَّيلِ فَتَهْجُدُ بِهِ } أَيْ : قَمَ بَعْدَ نُومِكَ وَالْتَّهْجُدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ النُّومِ يَقَالُ : تَهْجُدُ إِذَا قَامَ بَعْدَمَا نَامَ وَهَجَدَ إِذَا نَامَ .
وَالْمَرَادُ مِنَ الْآيَةِ : قِيَامُ اللَّيلِ لِلصَّلَاةِ .

وَكَانَتْ صَلَاةُ اللَّيلِ فَرِيْضَةً عَلَى النَّبِيِّ A فِي الْابْتِداَءِ وَعَلَى الْأَمَّةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ * قَمْ اللَّيلَ إِلَّا قَلِيلًا } (الْمَزْمُلُ - ١) ثُمَّ نَزَّلَ التَّحْفِيفُ فَصَارَ الْوَجُوبُ مَنْسُوخًا فِي حَقِّ الْأَمَّةِ بِالصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَبَقِيَ الْاسْتِحْبَابُ : قَالَ إِنَّهُ تَعَالَى : { فَاقْرُؤُوا مَا تَيْسَرُ مِنْهُ } (الْمَزْمُلُ - ٢٠) وَبَقِيَ الْوَجُوبُ فِي حَقِّ النَّبِيِّ A .

وَرُوِيَّ عَنْ عَائِشَةَ B هَا أَنَّ النَّبِيِّ A قَالَ : [ثَلَاثٌ هُنَّ عَلَيْيِ فَرِيْضَةٌ وَهُنَّ سَنَةٌ لَكُمْ : الْوَتْرُ] وَالسَّوَاكُ] وَقِيَامُ اللَّيلِ] .

قَوْلُهُ D : { نَافِلَةٌ لَكُ } أَيْ : زِيَادَةٌ لَكَ يُرِيدُ : فَضْيَلَةٌ زَانِدَةٌ عَلَى سَائِرِ الْفَرَائِصِ فَرَضَهَا إِنَّهُ عَلَيْكَ .

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْوَجُوبَ صَارَ مَنْسُوخًا فِي حَقِّهِ كَمَا فِي حَقِّ الْأَمَّةِ فَصَارَتْ نَافِلَةٌ وَهُوَ قَوْلُ مَجَاهِدٍ وَقَاتِدَةٍ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ : { نَافِلَةٌ لَكُ } وَلَمْ يُقْلِعْ عَلَيْكَ .

إِنْ قِيلَ : فَمَا مَعْنَى التَّخْصِيصِ وَهِيَ زِيَادَةٌ فِي حَقِّ كَافِيَ الْمُسْلِمِينَ كَمَا فِي حَقِّهِ A ؟ .

قِيلَ : التَّخْصِيصُ مِنْ حِيثِ إِنَّ نَوَافِلَ الْعِبَادَةِ كَفَارَةً لِذَنْبِهِمْ وَالنَّبِيِّ A قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخَرَ فَكَانَتْ نَوَافِلُهُ لَا تَعْمَلُ فِي كَفَارَةِ الذَّنْبِ فَتَبَقَّى لَهُ زِيَادَةٌ فِي رَفْعِ الْدَّرَجَاتِ .

أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ إِنَّهُ بْنَ عَبْدِ الصَّمْدِ الْجُوزَجَانِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْخَرَاعِيِّ أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدَ الْهَيْثَمِ بْنَ كَلْبِيْبَ حَدَّثَنَا أَبُو عَيْسَى التَّرمِذِيُّ حَدَّثَنَا قَتِيبَةُ وَبَشَرُ بْنُ مَعَاذَ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ زِيَادَةِ بْنِ عَلَاقَةِ عَنْ الْمَغْفِرَةِ بْنِ شَعْبَةَ قَالَ : [قَامَ النَّبِيُّ A حَتَّى انْتَفَحَتْ قَدْمَاهُ فَقِيلَ لَهُ : أَتَتَكَلَّفُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخَرَ ؟ قَالَ : أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا] .

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسْنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّرْخِسِيُّ أَخْبَرَنَا زَاهِرُ بْنُ أَحْمَدَ أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الصَّمْدِ الْهَاشَمِيِّ أَخْبَرَنَا أَبُو مَصْعُبَ بْنَ مَالِكٍ عَنْ عَبْدِ إِنَّهُ بْنِ أَبِي بَكْرَةِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ إِنَّهُ بْنِ قَيْسٍ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ عَنْ يَزِيدِ بْنِ خَالِدِ الْجَهْنَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ : لَأَرْمَقَنْ صَلَاةَ رَسُولِ A : الْلَّيْلَةَ فَتَوَسَّدُتْ عَتْبَتِهِ أَوْ فَسْطَاطَهُ فَقَامَ فَصَلَى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ صَلَى رَكْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ ثُمَّ صَلَى رَكْعَتَيْنِ دُونَ الْلَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا [ثُمَّ صَلَى رَكْعَتَيْنِ دُونَ الْلَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ صَلَى رَكْعَتَيْنِ دُونَ الْلَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ صَلَى رَكْعَتَيْنِ دُونَ الْلَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا] ثُمَّ أَوْتَرَ فَلَذِكَ ثَلَاثَ عَشَرَةَ رَكْعَةً .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه أخبره أنه سأل عائشة A : كيف كانت صلاة رسول A في رمضان ؟ قال : فقالت : [ما كان رسول A يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنها وطولها ثم يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنها وطولها ثم يصلى ثلاثة قالت عائشة قلت : يا رسول A أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي] .

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق أخبرنا يونس بن هارون بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس و ابن أبي ذئب و عمر بن الحارث أن ابن شهاب أخبرهم عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : [كان رسول A يصلى فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بواحدة فيسجد السجدة قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه فإذا سكت المؤذن من أذان الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة فيخرج] وبعضهم يزيد على بعض .

أخبرنا أحمد بن عبد A الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا عبد الرحمن بن منيب أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا حميد الطويل عن أنس بن مالك B قال : ما كنا نشاء أن نرى رسول A مصليا إلا رأيناه ولا نشاء أن نراه نائما إلا رأيناه وقال : كان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئا ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئا .

قوله D : { عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا } عسى من A تعالى واجب لأنه لا يدع أن يعطي عباده أو يفعل بهم ما أطمعهم فيه .

والمقام المحمود هو : مقام الشفاعة لأمته لأنه يحمد فيه الأولون والآخرون .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الجبار الريان حدثنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد A بن يزيد المقرئ أخبرنا حياة عن كعب عن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد A بن عمرو بن العاص أن رسول A قال : [إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول : ثم صلوا علي فإنه من صلى على صلاة صلى A عليه بها عشرًا ثم سلوا A لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد A وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة] .

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد A النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف حدثنا

محمد بن إسماعيل حدثنا علي بن عباس حدثنا سعيد بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله قال : [من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً مموداً الذي وعدته حلّ له شفاعتي يوم القيمة] .

أخبرنا أبو حامد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا حاج بن أحمد الطوسي أخبرنا عبد الرحيم بن منيب أخبرنا يعلى عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : [إن لكلنبي دعوة مستجابة وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتى وهي نائلة منكم - إن شاء الله - من مات لا يشرك به شيئاً] .

أخبرنا عبد الواحد الملحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل قال : قال حجاج بن منهال حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [يحب المؤمنون يوم القيمة حتى يهتموا بذلك فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون : أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمه أسماء كل شيء أشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا في يقول : لست هناكم ويذكر خطئته التي أصاب وأكله من الشجرة وقد نهى عنها ولكن ائتوا نوها أولنبي بعثه الله إلى أهل الأرض .

فيأتون نوها فيقول : لست هناكم ويذكر خطئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن قال فيأتون إبراهيم فيقول : لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن ولكن ائتوا موسى عبد الله آتاهم الله التوراة وكلمه وقربه نجيا .

قال : فيأتون موسى فيقول : إني لست هناكم ويذكر خطئته التي أصاب بقتل النفس ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته .

فيأتون عيسى فيقول : لست هناكم ولكن ائتوا محمد عبد الله غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

قال : فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع واسمع تشفع وسل تعطه قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة .

قال قتادة : وسمعته أيضاً يقول : [فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت له ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع واسمع تشفع وسل تعطه قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة] ثم

أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء ألا أن يدعني ثم يقول : ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع واسمع تشفع وسل تعطه قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحده لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة [] .

قال قتادة : وقد سمعته أيضاً يقول : [فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن] - أي وجب عليه الخلود - قال : ثم تلا هذه الآية : { عسى أن يبعثك ربك مقاماً مموداً } [قال : وهذا المقام المحمود] الذي وعده نبيكم [] . وبهذا الإسناد قال : حدثنا [محمد بن إسماعيل حدثنا] سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال الغزي قال : ذهبنا إلى أنس بن مالك فذكر حديث الشفاعة بمعناه قال : فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني حماد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع [وسل تعطه] واسمع تشفع فأقول : يا رب أمتى أمتى فيقول : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً وذكر مثله ثم يقال : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأنطلق فأفعل فلما خرجن من عند أنس مررنا بالحسن فسلمتنا عليه فحدثناه بالحديث إلى هذا الموضوع فقال : هيه فقلنا : لم يزدنا على هذا فقال : لقد حدثني وهو [يومئذ جميع] منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال : ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واسمع تشفع فأقول يا رب أتأذن فيمن قال لا إله إلا أنا [] فيقول : وعزتي وجلالي وكبرياتي وعظمتي لأخرجه منها من قال لا إله إلا أنا .

وروي عن عبد الله بن عمر قال : إن الشمس تدنو يوم القيمة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بأدم ثم بموسى ثم بمحمد [] فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله [] مقاماً مموداً يحمده أهل الجمع كلهم . وأخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو محمد عبد الله [] بن يوسف بن محمد [] بن ماموية حدثنا أبو بكر محمد بن الحسينقطان حدثنا محمد بن حموية حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا منصور بن أبي الأسود حدثنا الليث عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك [] قال : قال رسول الله [] : [أنا أولهم خروجاً [إذا بعثوا] وأنا قائدتهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا [وأنا مبشرهم إذا أيسوا] الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف على ألف خادم كأنهم بيض

مكnoon أو لؤلؤ منثور] .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أخبرنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلوسي
حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثني الحكم بن موسى حدثنا معقل
بن زياد عن الأوزاعي حدثني أبو عمارة حدثني عبد الله بن فروخ حدثني أبو هريرة قال : قال الله
: [أنا سيد ولد آدم يوم القيمة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع] .
والأخبار في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة .
وروي عن يزيد بن صهيب الفقير قال : كنت قد شغبني رأي من رأي الخوارج وكنت رجلاً شاباً
فخرجنا نريد أن نحج فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { إنك من
وذكر الجنميين فقلت له : يا صاحب رسول الله ما هذا الذي يحدثون و] D يقول : { إنك من
تدخل النار فقد أخزيته } (آل عمران - 192) و { كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا
فيها } (السجدة - 20) فقال : يا فتى تقرأ القرآن ؟ قلت : نعم قال : هل سمعت بمقام
محمد المحمود الذي يبعثه الله فيه ؟ قلت : نعم قال : فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج
إله من يخرج من النار [ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه] وأن قوماً يخرجون من
النار بعد ما يكونون فيها قال : فرجعنا وقلنا أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .
وروي عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم اخذ إبراهيم خليلاً وإن صاحبكم
حبيب الله وأكرم الخلق على الله ثم قرأ : { عسى أن يبعثك ربك مقاماً مموداً } [] قال :
يقعد على العرش] .
[وعن مجاهد في قوله تعالى : { عسى أن يبعثك ربك مقاماً مموداً } قال : يجلسه على
العرش] .

وعن عبد الله بن سلام قال : يقعده على الكرسي